مجموعة نقشجم العلميّة
إصدارة رقم «٨٤»

الجوهرة النقطة في أن الكون نقطة



تأليف
السيّد عبد الله الميرغني المحجوب
الحسيني الحنفي المكي الطائفي
(١١١٩هـ - ١١٩٣هـ)
رضي الله عنه

الجوهرة النقطة
في أن الكون نقطة

تأليف

السيد عبد الله الميرغني المحجوب
الحسيني الحنفي المكي الطائفي
(١١١٩هـ - ١١٩٣هـ)
رضي الله عنه

ربيع الأول ١٤٤٧هـ - سبتمبر ٢٠٢٥م

يمكنكم مراسلتنا، عبر البريد الإلكتروني: ngshjm@yahoo.com
أو عبر صفحة مجموعة نقشجم العلمية، على الفيسبوك: facebook.com/ngshjm

إِنَّ الوُجُودَ جَمِيعَهُ فِي نُقْطَةٍ

هِيَ قُطْبُهُ هِيَ عَيْنُهُ مِنْهَا وَرَدْ

هِيَ رَاحُهُ هِيَ رُوحُهُ هِيَ سِرُّهُ

هِيَ نُورُ نُورِ اللَّهِ أَحْمَدُ مَنْ حُمِدْ

السيد عبد الله الميرغني المحجوب

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تقديم

الحمدُ للّه الذي خلَقَ الكون وزانه في صنع بديع، وأوجدهُ وأنارهُ بالمُصطفى الهادي الشفيع، الذي جعله نورًا وسراجًا رفيع، وصلَّى وسَلَّم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ما دَرَّ دَرٌّ في ضريع.

وبعدُ، فهذه رسالةٌ لطيفةٌ جليلةٌ للسَّيِّد عبد الله الميرغني المحجوب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَمَّاهَا "الجوهرة النفطة في أن الكون نقطة" في مجال التصوف تتطرق لمفهوم الحقيقة المُحمَّديَّة الشريفة، التي هي بحرٌ عميقٌ لا يُدرك مداهُ، وسماءٌ لا تطاولها سماءُ. وتليها فائدة مُفيدة موجزة في شرف النسب والعلم.

وقد يسَّرَ الله تعالى لمجموعة نقشجم العلميَّة على خدمتها وتحقيقها ونشرها، واللّه نسأله أن ينفع بها تقرُّبًا إلى حضرة سيدنا رسول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

مجموعة نقشجم العلمية

الاثنين، ١٦ ربيع الأول ١٤٤٦هـ – ٨ سبتمبر ٢٠٢٥م

منهج العمل وصور المخطوطة المستعان بها

تم بتوفيق اللَّه وفضله الحصول على مخطوطة رقمية بعد طلبها مُباشرة من مكتبة الدولة البَافَاريَّة بميونيخ ألمانيا بعد مُراسلتهم: وهي نُسخة رقميَّة محفوظة ضمن مجموع وتعدّ الرسالة الثانية فيه بالرقم Cod.arab.2018-2، تقع في ٦ صفحات من اللوحة ٢٥أ – ٢٧ب، إلا أنها تنقصها لوحة واحدة، بخط نسخي، متوسط أسطرها للورقة الواحدة: ٢٣ سطرًا. وغير مذكور بها تاريخ نسخها وناسخها.

وأخرى من مكتبة مولانا السيد علي الميرغني أمدَّنا بها السيد عمر بن السيد محمد أمين الميرغني، وقمنا بمقابلة النسختين مع بعضهما، واعتماد الأخيرة لأنها مكتملة، إذ تقع في ١٠ ورقات، بخط نسخي معتاد، متوسط أسطرها للورقة الواحدة: ١٩ سطرًا. وتاريخ تأليف الرسالة ١٨ رجب ١١٥٧هـ.

قمنا بتفريغ نص النُّسخة ومقابلته مع المخطوطة، وتخريج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وتنسيق وضبط الفقرات حسب السياق، وترصيعها بعلامات الترقيم، وعمل مقدمة للكتاب، وترجمة للسيد المُؤَلِّف، وتراجم موجزة للأعلام الذين ذكروا بالرسالة.

صور المخطوطات المُستعان بها

صورة اللوحة الأولى والأخيرة لنسخة مكتبة مولانا السيد علي الميرغني

صورة اللوحة الأولى والأخيرة لنسخة مكتبة الدولة البافارية بميونخ - ألمانيا

ترجمة المُؤلِّف

السيد عبد الله الميرغني المحجوب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

هو العلَّامة المحقق، الحجة المدقق، والمحدث الفقيه الأصولي الأديب، أبو السيادة، عفيف الدين، السيد عبد اللَّه بن السيد إبراهيم بن السيد حسن بن السيد محمد أمين بن السيد علي ميرغني، الحسيني المكي الحنفي. ينتهي نسبه الشريف إلى سيدنا الحُسين بن سيدنا علِيّ بن أبي طالب وابن سيدة نساء العالمين وبضعة سيد المرسلين، سيدتنا السيدة فاطمة الزهراء بنت سيدنا محمد رسول الله، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

ولد بمكة المكرمة عام ١١١٩هـ، وبها نشأ وتربى في كنف أسرته الكريمة، التي عرفت بين أهل مكة بالعلم والورع، فحفظ القرآن الكريم في حال صباه، وعكف على تحصيل العلم، فأخذ عن والده السيد إبراهيم وجده السيد حسن مبادئ العلوم الدينية واللغوية، كما أخذ عن عمه السيد محمد أمين صاحب التصانيف المفيدة، في الفقه والحديث، المتوفى عام ١١٦١هـ.

وممن تلقى عنهم بمكة المكرمة: الشيخ النخلي الشافعي، وعبد الله بن سالم البصري، وعبد الكريم بن خضر الهندي والقاضي تاج الدين القلعي، الذي درس الكتب الستة بالمسجد الحرام، ومحمد صلاح الدين البرسلي، وتاج الدين الدهان. ثم اجتمع بقطب زمانه، السيد يوسف المهدلي، فانتسب إليه ولازمه.

وقد عاش السيد المحجوب باكر حياته بمكة المكرمة، بين التدريس والإرشاد إلى طريق الرشاد، ثم انتقل إلى الطائف، ونزل بقرية السلامة، وذلك إثر فتنة جرت بمكة المكرمة، فآثر الابتعاد. وعكف السيد المحجوب على نشر العلم وتربية المريدين، وحمل لواء السنة المحمدية، داعيا إلى الله

بحاله ومقاله، فعاش مهابا عزيزا في ذاته، موقرا للعلم وأهله. قال عنه تلميذه مرتضى الزبيدي: ووفد إليه العارفون فوجا فوجا، وصار يترقى إلى مصاعد المجد الأعلى أوجا أوجا.

من أبرز تلاميذه: ابناه السيد محمد أبي بكر الميرغني، والسيد محمد يس الميرغني، ومحمد مرتضى الزبيدي، وإبراهيم الزمزي، ومحمد بن زين بالحسن التريمي، ومحمد بن أحمد الشهير بابن الجوهري، وتاج الدين بن محمد سراج ناسخ مخطوطاته، وكتب له مناقبًا، وغير هؤلاء خلق كثيرون.

احتجب بداره ثلاثين سنة، وقد كانت العزلة عن الناس مفتاحا للمعرفة والعبادة والتفكر والاطلاع والتأليف. وقد أثمرت فترة العزلة، بين العلم وضروبه، نتاجا عظيما من المؤلفات الجامعة المفيدة، التي نافت عن الثمانين مؤلفا، اهتم في جلها بتربية المريدين على النهج الصوفي، كما هدفت مؤلفاته إلى إرشاد العامة، وتعريفهم بأصول العقائد والفقه، وأساس السلوك إلى الله تعالى، لا سيما وله طريقة موصلة إلى الله تعالى، وهي الطريقة الميرغنية.

من مؤلفاته: الإيضاح المبين بشرح فرائض الدين، والأربعين حديث، والأسئلة النفسية والأجوبة القدسية، والأنفاس القدسية في بعض مناقب العباسية، والبشائر الحاتمة بأسباب حسن الخاتمة، والتحفة الظريفة في الصلاة على الحضرة الشريفة، والتوسلات الإلهية في الخلوات السمرية والجلوات السحرية، والجواهر الشفافية في بعض مناقب السيدة الصديقية، والجواهر اللمعة في فضائل الجمعة، والجوهرة النقطة في أن الكون نقطة، والدرة اليتيمة في بعض فضائل السيدة العظيمة، والزهر الفائق في الدقائق والرقائق، والسر العجيب في مدح الحبيب، والسلام والدعاء عند زيارة الحبر

ابن عباس، والسهم الداحض في نحر الروافض، والعقد المنظم على حروف المعجم، والفيوض الإلهية في الصلاة على خير البرية، والكوكب الثاقب، واللآلي المفردات في أذكار عرفات، والمعجم الوجيز من أحاديث الرسول العزيز، والمقاصد الفخرى في مناقب السيدة خديجة الكبرى، والمنن الكبرى من اللَّه في بعض فضائل لا إله إلا اللَّه، والموجز العزيز على المعجم الوجيز، والنسمات الأنسية في الأحاديث القدسية، والنفحات القدسية شرح الصلاة المشيشية، والنفحة العنبرية من المشكاة النبوية في آداب المعية، وإتحاف الحلفاء في مناقب الخلفاء، وإتحاف السعداء بمناقب سيد الشهداء، وأربعون حديثا في النكاح، وأربعون حديثا في الوصايا، وبحر العقائد منظومة في أصول الدين، وتحريض الأغبياء على الاستغاثة بالأنبياء والأولياء، وتنبيه الحق في حين الفرق، وجوامع الكلمات في تضمين الأحاديث الحكميات، وجوذاب القلوب لذكر علام الغيوب، وحاشية على جمع الفوائد، وحكم و معارف وأسرار ولطائف، وذات الجنب في معنى الذنب، وزهر الرياحين من رياض الصالحين، وسباعيات الحكم، وسلاسة السلسبيل من مربى الزنجبيل، وسواد العينين في شرف النسبين، وشرح أبيات لابن عربي، وعدة الإنابة في أماكن الاجابة، وغاية الفوز والفلاح في أذكار المساء والصباح، وفرائض الدين وواجبات الإسلام لعامة المسلمين، وكنز الفوائد شرح بحر العقائد، ومجالي الأصول لمراقي الوصول، ومختصر المنتهيات، ومراقي الوصول إلى معالي الرسول، ومشارق الأنوار في الصلاة على النبي المختار، ومشكاة الأنوار في سيرة النبي المختار، ومعراج السلوك إلى ملك الملوك، ومنهاج الملوك إلى معراج السلوك، ونقطة نقط التحقيق في بيان مقالة الصديق، والبدر المنير، والتحفة المغطاة من الرحمة المعطاة، والتيسير في إثبات

التدبير، والجوهر العالي في توحيد الغالي، والحكم الكبرى، والدر المتلالي‌ء في توحيد المتعالي، و الدر المنثور في مناقب الخلفاء أولي البيت المعمور، والدر النظيم في توحيد العظيم، والروض الأمثل من المعنى الأول، والسر الأعظم في الصلاة على النبي الأكرم، والسفينة الصغيرة، والسفينة الكبيرة، والفروع الجوهرية في الأئمة الإثنى عشرية، والمراسلات المرغنية بين أحباب الغنية، والنجادة في الولادة، وإتحاف المتقين بمناقب المجتهدين، وإتحاف المجالس في نزهة الجالس، وإيضاح المقصود في تحقيق الشهود، وتدقيق التلوين في تحقيق التكوين، وتسلية الكبد الحراء بذكر أكباد فاطمة الزهراء، وتشطير إنما الكون ضياء، وجامع الشتات في ما تفرق من الأبيات، وجواهر القلائد لقانص الفوائد، ورفع الحاجب عن الكوكب الثاقب، وسلسبيل الخلان، وكشف الغطا عن زمن أهل الخطا، ولمع برق الألمعية على بيتي المعية، ومختصر لصحيح البخاري، ومناقب سيدنا عثمان بن عفان، ومنتهى السير في الاختصار.

توفي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالطائف ليلة الجمعة، لثلاث خلون من عاشوراء، عام ١١٩٣هـ، ودفن بمسجده الملحق بداره، بعد أن حفر قبره وهيّأه، وختم فيه القرآن سبعة آلاف ختمة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ لله الواحد الأحد الفرد الصمد، الذي جعل النقطة مدار الوجود، والنفطة مقام كل موجود، والصَّلاة والسَّلام منه على أكرم مولود، الذي هو والد كل موجود، وعلى آله وصحبه ذوي الكرم والجود. وأشهدُ أن لا إله إلا الله الإله الواحد المعبود، وأشهدُ أن سيدنا محمد عبده ورسوله نقطة الوجود، صلَّى الله عليه وسلَّم ما شُهِد مشهود وسَعِد مسعود.

وبعدُ، فلمَّا رأيتُ ترجمة العارف الشيخ عبد الغني النَّابُلْسِيّ(١) كَانَ اللَّهُ لِي وَلَهُ من جملة رسائله "رسالة في بيان أن العلم نقطة"، اشتقتُ إلى مُطالعتها ولم يرد الله ذلك لا هي ولا غيرها، وقد كانت تترد في الخاطر القاصر، وحين ألفَّتُ كتابي "كنز الفوائد"

---

(١) عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني النابلسي: شاعر، عالم بالدين والأدب، مكثر من التصنيف، متصوف. وُلِد سنة ١٠٥٠هـ بدمشق ونشأ فيها. ورحل إلى بغداد، وعاد إلى. سورية، فتنقل في فلسطين ولبنان، وسافر الى مصر والحجاز، واستقر في دمشق، وتوفي بها سنة ١١٤٣هـ. له مُصنفات كثيرة جدًا، منها: الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية، وتعطير الأنام في تعبير المنام، وزيادة البسطة في بيان العلم نقطة، وكفاية الغلام، وذخائر المواريث في الدلالة على مواضع الأحاديث، وفهرس لكتب الحديث الستة، وعلم الفلاحة، ونفحات الأزهار على نسمات الأسحار، وإيضاح الدلالات في سماع الآلات، وذيل نفحة الريحانة، وحلة الذهب الإبريز، والحقيقة والمجاز في رحلة الشام ومصر والحجاز، وقلائد المرجان في عقائد أهل الإيمان، وجواهر النصوص شرح فصوص الحكم، وشرح أنوار التنزيل، وكفاية المستفيد في علم التجويد، وخمرة الحان، وخمرة بابل وغناء البلابل، كنز الحق المبين في أحاديث سيد المرسلين، وديوان الحقائق.

شرح نظم عقيدتي "بحر العقائد"، حاكَ في الخاطر شيءٌ من ذلك فوضعته هنالك.

ولم يزل البال إلى ذاك في اشتغال، حتى جمعتُ بعض كلمات في الحِكَم صدرت من اللَّه على لساني، فجرى أيضًا من ذلك فرقمته هنالك، ثم استقوى ما فيه واعتضد وقال: لا بُدَّ من رسالة في هذا المقصد، على حسب ما يفتح به الفتَّاح في المشهد، فقلتُ: سمعًا وطاعة، لكن على حسب الاستطاعة، فقال: أبرز ما في الكنز، ولو أنه بالرمز، فقلتُ: هذا بارق لاح من فتح الفتَّاح، فأخذتُ المفتاح من البرق الشطَّاح، مُستعينًا بمخرجه ومُستمدًا بمُخرَّجِه، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعلى مَنْ على منهجه وسلَّم تسليمًا.

تمهيد:

اعلم أنه لا يكون شيء من الوجود، إلا وهو جامع لمظاهر المعبود، فمظهر الذات والصفات لا يخلو عنه سائر الكائنات، وإلا لزم التعطيل في بعض الحالات، وهو محال لديمومية ذي الكمال، بما له من نعوت الجلال والجمال، ولذا قلت في "إيضاح المقصود في تحقيق الشهود": كل شيء لا يخلو عن الكمال، لكن ما كل كمال كمال.

فإن قلتَ: المُقَرَّرُ في كتب كثير من أكابر مُحقّقي العارفين أنهم يقولون: هذا مظهر الذات، وهذا مظهر الصفات، وهذا جلالِيّ وهذا جمالِيّ وهذا كمالِيّ، ونحو ذلك مما يقتضي انفراد المظاهر.

قلتُ: إن كان قصدهم المُتبادر فقصورٌ لما مرَّ من السطور، وإن كان قصدهم نظرًا إلى الغالب والأغلب بمعنى أن ذلك المظهر هو الغالب على غيره مما هنالك، أو الغالب باختلاف الأوقات فذلك عين الصواب، والتحقيق عند أُولي الألباب، فافهم هذا التدقيق، فهو مما فتح به ولِيّ التوفيق على العبد الرقيق، ولم أره لأحد، ويمكن أن يكون ولم اطَّلِعْ عليه.

وإذا عرفتَ هذا فاعلَمْ أن كل شيءٍ لا بُدَّ أن يكون له ظاهر وباطن، لاقتضاء اسمَيْه تعالى ذلك في جميع ما هنالك، ومن ذلك قول المُتكلِّمِين: الجوهر الفرد والجزء الذي لا يتَجَزَّأ والبسيط، ومعنى هذه الألفاظ المُترادفة ظاهرٌ عندهم، وهو الجزء الذي لا يتَجَزَّأ ولم يكن له أصلاً، نظرًا إلى القدرة الإلهية فضلاً عن غيرها، وهذا ظاهرُ معناها.

وأما باطنه فالجوهر الفرد معناه: الشيء النورانِيّ اللطيف المنفرد بالحقيقة بلا تكييف، وهو الجزء الذي لا يَتَجَزَّأ، ولم

يُكن له شبيه فيتعَزَّى، وإلى هذا يُومِئُ حديث: «أَنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ دُرَّةً بَيْضَاءَ»(٢). والبسيط على الحقيقة هو المنبسط، بمعنى: الذي انبسط منه جميع الكائنات.

فالجوهر الفرد على الحقيقة: هو النور المُحمَدِيّ الجوهرِيّ الفردِيّ، الذي لم يتَجَزَّأ منه شيء أصلاً، ولعل إلى هذا أشار الأبوصيري(٣) رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بقوله:

مُنَزَّهٌ عَنْ شَرِيكٍ فِي مَحَاسِنِهِ ... فَجَوْهَرُ الْحُسْنِ فِيهِ غَيْر مُنْقَسِمِ

وقلتُ في بعض المدائح:

فَحُسْنُهُ جَوْهَرٌ فَرْدٌ تَسَامَى ... وَلَمْ يُقْسَمْ لِذَا بَيْنَ اثْنَتَيْنِ

وإنما كان هذا الجوهرُ فردًا على التحقيق لكونه مظهر الواحد الفرد سبحانه، فلذا انفرد من حيث الذات واجتمع بجميع الصفات، كما أشارَ إلى ذلك إفراد الرحمة في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[الأنبياء: ١٠٧]، وإفراد السراج المنير في قوله: ﴿وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾[الأحزاب: ٤٦]، وإفراد الرسالة في قوله: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[الأعراف: ١٥٨]، وإفراد السيادة

(٢) أخرجه أبو نعيم في "العظمة".

(٣) أبو عبد اللَّه شرف الدين محمد بن سعيد الصنهاجي البوصيري المصري، شاعر اشتهر بالمديح النبوي. أصله من المغرب، ولد ببهشيم ٦٠٨هـ وتوفي بالإسكندرية ٦٩٦هـ. له: ديون شعر ومن أشهر قصائده: الكواكب الدرية في مدح خير البرية "البردة الشريفة" وأم القرى "الهمزية"، والمضرية، وذخر المعاد. وله: تهذيب الألفاظ العامية.

في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ»(٤)، إلى غير ذلك.

ثم لمَّا أدامَ الجليلُ النظرَ إليه بالإمداد انبسطَ وامتدَّ للإمداد، ولم يزل ذلك الانبساط إلى أن انبسط منه جميع الوجود، لكن ما بُسِط ما بُسِط إلا من النَّامِي لا من الفرد السامي.

نعم للأصل اِتّصال بالفرع اِتّصال الروح بالجسد، فلذا كان روح سر حياة الداريْن، وهو من روح اللَّه وهي حضرة القُدس المُعبَّر عنها بقوله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾[الحجر: ٢٩]، وهذه الروح الظريفة التي بإضافة التشريف وصيفة، هي من الرَّوْح -بفتح أوله- الخاص الحاصل من حضرة قصد الخواص، وإليه يشير حديث: «الرِّيحُ مِنْ رُوحِ اللهِ تَأْتِي بِالرَّحْمَةِ»الحديث(٥).

فلذا كانت الروح من الملكوت الأعلى وصارت رَوْحًا لكل ذي روح أجلى، ولنمسك عنان البنان كي لا يكر في الميدان، فتخرج إلى فضاء العيان، فيؤدي إلى اختلاط العقول والأذهان، وينكره الجبان فَيَبُوءُ بالخُسْران.

---

(٤) أخرجه البخاري في "تاريخه" ومسلم وأحمد وابن ماجه وأبو داود والترمذي والطبراني.

(٥) أخرجه البخاري في "تاريخه" وأحمد وعبد الرزَّاق وأبو داود والنسائي والطبراني.

ولنرجع إلى ما نحن بصدده فنقولُ:

النُّقْطة -بالضم- : التي هي لغة المعجمة للحروف ظاهرها الإعجام والتمييز، وأما باطنها الحقيقي فهي عبارة عن الجزء الذي لا يتَجَزَّأ، الذي ببسطه تصير الحروف حروفًا، وبها يمكن التأليف بينها وبين الذي به تُدرك العلوم، فلذا حوت جميعها، وإنما سُمِيّت نُقْطة لأن من معناها المدار الذي يدور الشيء عليه ويرجع إليه، وهي كذلك إذ عليها مدار العلوم، وإليها يرجع المنطوق والمفهوم، وهذا باطنها الأدنى الذي هو بمعنى الغَيْب.

وأما باطنها الأقصى الذي بمعنى غَيْب الغَيْب فهو الجوهر الفرد المُفسَّر آنفًا بالنُّور المُحمَّدِيّ، البسيط الذي انبسط منه جميع الأجسام والمباني وسائر الأعلام والمعاني، وقد أشار إليه العظيم في المثاني بقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ أَيْ: ما قضينا في أزلنا بإرسالك سابقًا إلا لنجعلك رحمة للعالمين لاحقًا في إيجادهم وإمدادهم، فهذه هي الرحمة الحقيقة الشاملة للحس والمعنى والظاهر والباطن، كما أَوْمَأَ إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[الأعراف: ١٥٦]، فهي التي بها قيام الوجود، وهي مظهر اسمه القَيُّوم، وهذا سر اختصاص الرحمانية بالاستواء على العرش، الذي هو الحقيقة المُحمَّدية الجامعة

للوجودات الإمكانية، ولذا قال سبحانه لآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَلَوْلَاهُ مَا خَلَقْتُكَ وَلَا خَلَقْتُ سَماءً وَلَا أَرْضًا»الحديث(٦)، ففيه أَدَلُّ دليل على أنه سِرٌّ لكل جليل وقليل، بل عينٌ لذي كل ذي باع طويل.

وبسط ذلك بالحديث(٧) الذي رواه جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «قَالَ: سألتُ رسول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن أَوَّل شيء خلقه اللَّه تعالى؟، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هو نور نبيك يا جابر خلقه اللَّه تعالى، ثم خلق فيه كل خير، وخلق بعده كل شيء، وحين خلقه أقامه قُدَّامَهُ في مقام القرب اثنى عشر ألف سنة، ثم جعله أربعة أقسام: فخلق العرش من قسم، والكرسي من قسم، وحملة العرش وخزنة الكرسي من قسم، وأقام القسم الرابع في مقام الحب اثنى عشر ألف سنة، ثم جعله أربعة أقسام: فخلق القلم من قسم، واللوح من قسم، والجنة من قسم، وأقام القسم الرابع في مقام الخوف اثنى عشر ألف سنة، ثم جعله أربعة أجزاء: فخلق الملائكة من جزء، وخلق الشمس من جزء، وخلق القمر والكواكب من جزء، وأقام الجزء الرابع في مقام الرجاء اثنى عشر ألف سنة، ثم جعله أربعة أجزاء: فخلق العقل من جزء، والحلم والعلم من جزء، والعصمة والتوفيق من جزء، وأقام

(٦) أخرجه الحاكم والبيهقي والطبراني وابن عساكر.

(٧) أخرجه عبد الرزَّاق في "مصنفه".

الجزء الرابع في مقام الحياء اثنى عشر ألف سنة، ثم نظر اللَّه عَزَّ وَجَلَّ إليه فترشَّح ذلك النور عرقًا، فقطرت منه مائة ألف وعشرون ألفًا وأربعة آلاف قطرة من النور، فخلق اللَّه سبحانه من كل قطرة روح نبي أو رسول، ثم تنفَّست أرواح الأنبياء فخلق اللَّه من أنفاسهم نور أرواح الأولياء والشهداء والسعداء والمطيعين إلى يوم القيامة، والعرش والكرسي من نوري، والكروبيون والروحانيون من الملائكة من نوري، والجنة وما فيها من النعيم من نوري، وملائكة السماوات السبع من نوري، والشمس والقمر والكواكب من نوري، والعقل والعلم والتوفيق من نوري، وأرواح الرسل والأنبياء من نوري، والشهداء والسعداء والصالحون من نتائج نوري، ثم خلق اللَّه اثنى عشر ألف حجابًا فأقام اللَّه نوري وهو الجزء الرابع، بين كل حجاب ألف سنة وهي مقامات العبودية والسكينة والصبر والصدق واليقين، فعَمَّر اللَّه ذلك النور في كل حجاب ألف سنة، فلما خرج النور من الحجب زكَّاه اللَّه في الأرض فكان يضيء منه ما بين المشرق والمغرب كالسراج في الليل المُظلم، ثم خلق اللَّه آدم من الأرض فركَّب فيه من النور في جبينه، ثم انتقل منه إلى شيث، وكان ينتقل من طاهر إلى طيب إلى أن وصله اللَّه إلى صلب عبد اللَّه بن عبد المُطَّلب

ومنه إلى رحم أمي آمنة، ثم أخرجني إلى الدنيا وجعلني سيد المرسلين وخاتم النبيين ورحمة للعالمين وقائد الغُرِّ المُحجَّلِين، هذا كان بدء نبيك يا جابر».

فتَبَيَّنَ بهذا الحديث أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كل العالَم الحسِيّ والمعنوِيّ، وكل العلم النقلي والعقلي والذوقي، وأن كل جزء من العالَم مظهر له، وجزءه من حيث اتِّحاده، وغيره من حيث امتيازه وانفراده، إذ نوره الذي هو الدُّرَّة البيضاء والعقل كما ورد أصل العالَم ومجمعه ومعدنه ومربعه.

فإذن هو نقطة الوجود، ومداره الذي هو منه وإليه يعود، ولذا إذا طار السائر إلى اللَّه تعالى إلى أقصى المقامات انكشف له أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو العالَم بأسره لعَوْد ما منه بدا إليه، وأَنَّ ما ثَمَّ غيره سوى اللَّه تعالى، وهناك يتحقّق معنى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[طه: ٥].

وإذا تقرَّرَ أنه الأصل لزِمَ ألا يكون لغيره مدَدٌ إلا منه، بل إذا كان هو العين -كما حُقِّقَ- صار مُمِدًّا لنفسه كالشجرة لفروعها فهو الذكر المُلقّح نفسه بنفسه، فلذا كان هو الوالدين لجميع الكونين.

واعلَمْ أنه وإن كان الإلقاح الحقيقِيّ من اللَّه تعالى، لكن معنى هذا الإلقاح إنضاج الشيء بنفسه كما يُنضِج الرطب بعضه بعضًا، وغيره مما هو في معناه، حتى يتولَّد منه حيوان كثير، فصار هذا الجوهر الفرد البسيط مُبسط لجميع الأكوان، ومُظهر لسائر الذوات والألوان، ومن هنا تفهم حقيقة معنى قولي في بعض الحِكَم: نقطة الأكوان نفطة الألوان. أَيْ: النقطة التي هي مدار الأكوان هي النفطة التي نفطت جميع الألوان من الحسِّ والمعنى والعيان، وهي المُصْطَفى من ولد عدنان. ولذا قلتُ:

إِنَّ الوُجُودَ جَمِيعهُ فِي نُقْطَةٍ   هِيَ قُطْبُهُ هِيَ عَيْنُهُ مِنْهَا وَرَدْ
هِيَ رَاحُهُ هِيَ رُوحُهُ هِيَ سِرُّهُ   هِيَ نُورُ نُورِ اللَّهِ أَحْمَدُ مَنْ حُمِدْ

هذا وقد قال المُحَقِّقُون: بأنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُعْطِي علم كل شيء حتى الخمس المُستثناة في آخره عمره، لكنه أُمِرَ بكتم البعض وإفشاء البعض، وقد بيَّنتُ وجهه بالنقل في "النفحات القدسية شرح الصلاة المشيشية".

لكن أقولُ هنا: أنه وإن أُعطِي ذلك لكن لا على طريق الإحاطة التامة، بل على تفصيل في معنى الإجمال، والتفصيل الحقيقِيّ بالإحاطة الحقيقية له تعالى، ليقع الفرق بين العلم القديم والحادث، وعن هذا يُعبّر قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ

بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾[البقرة: ٢٥٥] أَيْ: بشيء من معلوماته، ولو نُظِر إلى أقل شيء وهو الجزء الذي لا يتَجَزَّأ لا يمكن الإحاطة به من جميع الوجوه أو بشيء من علمه الذي هو صفته تعالى وهو كذلك أيضًا.

وإذا كان لا يمكن الإحاطة بأدنى الخلق فبالخالق أولى، بل هو أجل المعلومات فدخل في الآية، ولذا أقسم العارف أبو سعيد الخرَّاز(٨) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بقوله: وَاَللَّهِ وَاَللَّهِ لَا يَعْرِفُ اللَّهَ إِلَّا اللَّهُ. وأوضحه الجليل بقوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾[الأنعام: ٩١]، وأيضًا قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾[الأنعام: ١٠٣] صريحٌ في ذلك، وعمومه شامل حتى للأبصار المكتسبة الحاصلة بالتقرُّب من الحضرة الكاملة المُعبَّر بها في حديث: «كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ»الحديث(٩). فإنه وإن كان في الحقيقة لا يراه إلا ببصره سبحانه لا يدركه بالإحاطة التامة، وإلا لزم التساوي بل الإحاطة بالمحيط، وذلك باطلٌ، وجمع الأبصار يشير إلى اختلاف الأبصار والإبصار في سائر الأعصار، فَتَأَمَّلْ فيه بالعين البصيرة، وإن كان هو من هذه الصورة الحقيرة، وَاحْمَدِ الله فلقد حصل عموم النفي منه تعالى.

(٨) أبو سعيد أحمد بن عيسى الخرَّاز ولد ببغداد من أئمة التصوف وتوفي ٢٨٦هـ بالموصل.
(٩) أخرجه البخاري وابن حبان والبزّار والطبراني وأبو نعيم والبيهقي.

قال العارف أبو الحسن الشَّاذِليّ[١٠] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: رأيتُ كأني واقفٌ بين يدي اللَّه تعالى، فقال: لا تأمن مكري في شيءٍ وإن أمَّنتُكَ، فإن علمي لا يحيط به محيط. فقد كُشِف الغطا.

وهذا ما ظهر لي من معنى قوله: العلم نقطة، وأن معنى جميع العلوم فيها، وبه قد زدتُ بأن الكون نقطة وهي معناه، ولا أدري ماذا سطَّرهُ الغير سيما عبد الغَنِيّ، فهذا من إغناء الغني، لمن دُعِي الميرغَنِيّ، وفوق كل ذي علم عليم، ولكن أرجو الكبير العظيم أن يكون ما قلته هو الأحرى والأنفع دنيا وأُخرى، وعَنْوَنْتُهُ بـ"الجوهرة النفطة في أن الكون نقطة".

---

(١٠) أبو الحسن تقي الدين علي بن عبد اللَّه الحسني الشاذلي المغربي، شيخ الطريقة الشاذلية، ولد ٥٧١هـ بغمارة بالمغرب، تتلمذ على ابن مشيش وسكن شاذلة بتونس ثم الإسكندرية. كان العز ابن عبد السلام يحضر مجلسه ويسمع كلامه. وتوفي ٦٥٦هـ بوادي حميثرى بصحراء عيذاب في طريقه للحج. له أوراد وأذكار وأحزاب وحكم وأقوال تناقلها تلاميذه.

وهذا آخر ما خطر في البال، وعلى اللَّه الاتّكال، وله الحمد على كل حال، قال جامعه الواقع بخاطره في الخطر، والجامع للشر والبطر، عبد اللَّه بن إبراهيم بن حسن ميرغَنِيّ الحُسَيْنِيّ الحنيفِيّ الحنَفِيّ، عامل اللَّه الجميع بلطفه الجلِيّ الخفِيّ، يوم الخميس ثامن عشر رجب سنة ١١٥٧هـ، مُلتمِسًا الستر للخلل والصفح عن الزلل، وطالبًا للدعاء، والحمدُ للَّه، وصَلَّى اللَّهُ على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلَّمَ.

فائدة مُفيدة:

الشرف قسمان: ذاتِيّ وصفاتِيّ، وكلاهما على ضربيْن: خالقِيّ وخلقِيّ، فالخالقِيّ الذاتِيّ أشرف من الصفاتِيّ بلا شك، إذ الذات أشرف من الصفات في حقه سبحانه. وأما الخلقِيّ فلشرف للذات حقيقة، إذ هي من الجمادات، فما لها شيء من الكمالات لا بالنعوت أو الصفات.

نعم اصطلح العلماء على أن شرف الذات للنَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومنه بالنسبة للذرية، وله أيضًا شرف الصفات ولمن حواها، وعليه فاختلفوا في أن شرف العلم أفضل وهو الصفاتِيّ أم شرف الذات وهو الانتسابِيّ، وفي الحقيقة لا خلاف، إذ الذات في المخلوق لم تُشرّف إلا بالصفات التي هي من الكمالات.

نعم لما كانت الذات النبوية مُختار اللَّه من الوجود، جعلها معرفًا لكل نعت محمود، ولم يزل يسري منها في شعبها، ومع ذلك فقد بالغ الجليل الكبير في كمال التطهير لها، كما قال: ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[الأحزاب: ٣٣]، ومن ثَمَّ قال بعض العلماء: لا أُعادِلُ ببضعة رسول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولو أمعن كل ذي بصيرة وفراسة وكشف فيمن تحقَّق نسبه به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لرأى فيه من تأثير البضعة النبوية ما لم يدركه أكابر الأولياء من غيرهم، ولو جاهدوا أبد الآباد. ولهذا السر قال الله تعالى: ﴿قُل لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[الشورى: ٢٣].

نعن للعالِم العامِل نسبة العلم إليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإليها أشار حديث: «الْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ»(١١).

ثم نسبة ثالثة وهي نسبة التعلُّق للتخلُّق، وقد صَرَّح بها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: «سَلْمَانُ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ»(١٢)، وهذه التي صار الأولياء بها أولياء والأتقياء أصفياء، وهذه قد يكون فيها من يفوق ذي النسبة الذاتية كأكابر الصحابة.

وما ذاك التي هي إلا بكمال المحبة فيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الموجبة للفناء فيه المقتضي للاتِّحاد المعنوي، فصل كأنه عين الذات النبوية، وبه شرف على الذرية، ولذا قال بعض الأكابر ما معناه: ولد الحب خيرٌ من ولد الصلب. ولكن هذا ليس مطلقًا، فإنه لا يخفى الفرق بين اللاحق والملحوق، تدبَّرْ حديث: «مَوْلَى

(١١) أخرجه البخاري في "تاريخه" والدارمي وابن ماجه أبو داود والترمذي والطبراني.
(١٢) أخرجه ابن سعد والطبراني والحاكم.

الْقَوْمِ مِنْهُمْ»[١٣]، وقوله: «سَلْمَانُ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ»، مع قول علِيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فيه: «أَدْرَكَ الْعِلْمَ الأَوَّلَ وَالآخِرَ بَحْرٌ لَا يُنْزَفُ»[١٤]. وهذا هو سلمان فكيف بمن لم يكمل له الإسلام.

وهذا ما ظهر لمعدن القصور ومركز الفتور، وهو عبد اللّه بن إبراهيم ميرغَنِيّ، والحمدُ للّه على كل حال، وصلاته وسلامه على النبِيّ والآل.

(١٣) أخرجه أحمد وابن أبي شيبة والدارمي والنسائي وأبو نعيم.

(١٤) أخرجه البيهقي وابن عساكر.